النموذج المعرفي في تحليل مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي
مدخل معرفي أنطولوجي

د. محمد بن عزوزي
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
m.benazouzi@crsic.dz

ملخص:

إن تحليل مالك بن نبي لمفهوم الثقافة أحاله إلى مستويات تحليلية متنوعة استطاع من خلالها أن يتعمق هذا المفهوم وفق سياقات أنطولوجية ومعرفية متعددة، مكنته من وضع نموذج معرفي ذي فرادة قل مثيلها في المنظومات الفكرية الحديثة، فلا أدل على ذلك من إمكانية الاستثمار لهذا النموذج وتجسيده واقعا، من منطلق أن مفكرنا لم يكن مفارقا لواقعه منفصلا عنه، بل كأن أشد ما يكون التصاقا ببيئته التي نحتته ونحتت فكره، ولعل مفاهيم من قبيل التوجيه الأخلاقي، التوجيه الجمالي، المنطق العملي، والصناعة مفاهيم وظفها مفكرنا في سبيل تقديم رؤيته ليس عن التنمية فحسب، بل عن النهضة والحضارة في سياقاتها الشمولية، فيكون معها مفهوم التنمية من الحتميات التي تتحقق تلقائيا، وإذن فنحن هنا أمام سؤال معرفي ووجودي مهم ولعله سؤال طرحه مالك بن نبي في زمنه وها نحن نطرحه مرة أخرى لكن بتمظهر يتسق مع واقعنا فيكون السؤال هنا عن الحالة الراهنة لمجتمعنا أولا وهو واقع الحال، ثم ما هو المصير الذي نتوقعه ثانيا وهو ما قد يفضي اليه المآل.

وعليه فنحن في هذه الورقة سنحاول الإجابة عن التساؤل التالي، كيف يمكن للتنمية كونها نظرية في المعرفة أن تنتقل إلى المستوى الواقعي فتصبح نظرية في السلوك، وللإجابة عن السؤال لابد من الرجوع إلى المستويات التحليلية الثلاث التي قاس بها مالك بن نبي فكرة الحضارة، الإنسان التراب والوقت، وكيف لهذ العناصر أن تسهم في تحريك عجلة التنمية.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، المجتمع، التنمية.

Summary:
Malik Bennabi's analysis of culture transcended various analytical levels, allowing him to deeply explore this concept within diverse ontological and epistemic contexts. He developed a cognitive model that is uniquely innovative in modern intellectual frameworks. Bennabi's integration of concepts such as ethical guidance, aesthetic direction, practical logic, and industry aimed not only at development but also at renaissance and civilization in comprehensive contexts. This holistic approach considers development as an inherent necessity within these frameworks.
Bennabi's inquiry prompts us to consider the current state of our society and the future we envision. How can development theory transition from a conceptual understanding to practical behavioral application? To answer this, we must examine the three analytical levels—civilization, human, earth, and time—that Bennabi used to gauge the dynamics of development.

Keywords: culture, society, development.

1. بين يدي الموضوع:

لا يمكن الاكتفاء بمنظور أحادي في معالجة أية قضية فكرية مهما كأنت بساطتها سواء كأنت صادرة عن مقتضيات تنظيرية أو مقتضيات امبريقية، ناهيك عن أن تكون هذه القضية تريد لنفسها أن تتجسد واقعا متمثلا، فلا تقبل الاقتصار على المعاني الجدلية والتي وأن كأنت تسهم في عملية تحريك الفكر الا أنها قاصرة عن أنتاج تلك اللحظة التي تنتقل معها إلى الواقع الحقيقي بإملاءاته المتعددة، هذا الحذر المنهجي الذي يبرره **مالك بن نبي** دائما ويعزوه إلى فكرة اللاجدوى عندما تحترف الأوساط العلمية التنظير مقتصرة عليه ومغرقة في شهوة الكلام أن صح لنا استخدام هذا التعبير، وإذن لا يمكن أن ننخرط في القضايا الجادة ذات الأثر العميق في واقع الحياة إلا من خلال تتبع انعكاساتها على الواقع المعيش هذا الانعكاس الذي لابد له من آلية ضبطية توقعية تحدد ما يجب وما لا يجب، وكيف لنا أن نملأ الفراغ المعرفي ابتداء وذلك بمساءلة الواقع الذي سيحرك كذلك الآليات الاستنباطية التي تنتج النموذج المنطقي أولا، وهو سبيل مهم في بناء أي نموذج تحليلي ناجح يصاحب العملية الفكرية تنظيرا وممارسة.

التفكير في فكر مالك بن نبي ثم التفكير معه عملية فعلا مرهقة ومغامرة معرفية تستحق الانخراط فيها، من منطلق أن فكره يركز أحيانا على المتناقضات من أجل ابراز مواطن الخلل، وفي أحيان أخرى يركز على المستويات المختلفة للمنظومة الحضارية وكيف لها أن تتسق وفق بنية محددة تسمح لها أن تجسد الفعل الحضاري بجميع تفاصيله، ضف إلى ذلك كله القدرة الاستشرافية المتفردة التي تتعمق

الواقع بكل جزئياته، فتصبح صورة المستقبل ماثلة للعيان، كأن مفكرنا عاشها وعاد ليخبرنا عن الشرطيات التي تبعث النهضة من جديد وتسهم في ميلاد مجتمع الإنسان المتكامل.

2. التحديد السلبي والتحديد الإيجابي:

يشير مالك بن نبي إلى أن أي محاولة للاستثمار في ثلاثية الحضارة* لابد أن تمر عبر مراحل لعل من أهمها آلية التحديد التي تتوزع على محورين أو اتجاهين الأول منهما سلبي والثاني إيجابي، ولا يكتمل هذا التحديد الا بهما، فالأول سلبي يفصلنا عن رواسب الماضي المثقلة بالأفكار الميتة أو المميتة، والثاني إيجابي يصلنا بمقتضيات المستقبل[1]، ولعل هاتين اللحظتين تعتبران من أهم اللحظات حضاريا، اذ من شأنهما أن تكونا خلفيتين تأسيسيتين لما بعدهما، المفكر مالك بن نبي ضرب عديد الأمثلة عبر الحضارات الإنسانية من أجل أن يوصل فكرته حول الآليتين المذكورتين أنفا، وتجدر الإشارة أن التحليل في هذا المستوى يمكن أن يكون ماكرو سوسيولوجي، كما يمكن أن يكون ميكرو سوسيولوجي، فالأول لما يتعلق الأمر بالحضارة في اصطلاحاتها الكلانية، والثاني في مكوناتها لما يكون التحليل في المستوى التجزيئي. وفي هذا قابلية ومرونة للنماذج التي وضعها مفكرنا تسمح لها أن تلج أي قضية مهما كأن تكوينها من أبسطها شكلا إلى أكثرها تشابكا وتعقيدا.

ولعلنا هنا بصدد طرح سؤال محوري منطلقه التحديد السلبي، وهو ذو مستوى معرفي تحليلي بحت يتمثل في "ماهي السلبيات والعلل والنقائص التي تسود الساحة الثقافية والاجتماعية التي نعيشها في وقتنا الحالي؟ لسنا في معرض الإجابة عن السؤال الأن ولكن نحن نحاول أن نضع الهيكل المنهجي الأولي للنموذج التفسيري.

تلي هذه المرحلة مرحلة التحديد الإيجابي وقد لخصها مفكرنا في قوله "ليس المقصود من التحديد الإيجابي ابتداع منهاج جديد ...و أنما المقصود تحديد محتواه من العناصر الجوهرية التي نراها ضرورية لفكرة الثقافة"[2]، وهنا فيه نوع من الخطاب الذي يركز على التمثلات السلوكية البحتة التي تلامس المجتمع أنطولوجيا، أو بعبارة أخرى إعادة إنتاج المنظومة السلوكية المجتمعية وفق مقتضيات الثقافة في التفصيلات التي أثبتها مفكرنا في كتابه التأسيسي شروط النهضة .

* الإنسان، التراب، الزمان، مع ضرورة الفكرة الدينية التي تمثل المفعل للعناصر الثلاث.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، ط 16، دار الفكر، دمشق، 2017، ص 86.

[2] مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص 87

و قبل أن نلج إلى التفصيلات المتعلقة بالمفهوم لا بد من تحديده ابتداء، وإلا فالمفهوم قد يصل إلى حمولة معرفية ثقيلة قد تكون مجاوزة ومفارقة لسياقاته الواقعية التي نريد لها أن تكون المعيار الأساس في تحديده، في الواقع مفهوم الثقافة من المفاهيم الحديثة المرتبطة بالحضارة الغربية لما يتعلق الأمر طبعا بالمسمى "والواقع أن فكرة الثقافة فكرة حديثة جاءتنا من أوروبا والكلمة التي أطلقت عليها هي نفسها صورة حقيقية للعبقرية الأوروبية"[1] والا فالثقافة ممارسة ضاربة في التاريخ المعرفي الإنساني، حاول الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري تبيئة هذا المفهوم من خلال استلهام حادثة دريفوس المعروفة[2]، الا أن هذه التبيئة كأنت مثقلة بالتفسير والتأويل الذي يستند إلى الفكرة السياسية، والتي كان يراها عاملا خفيا في أحيان كثيرة، يعمل على توجيه ثمثلات الطبقات السياسية نحو طبقات المثقفين الراديكاليين في المجتمع، ومن حيث يدري أو لا يدري، وضع نفسه داخل اطار خاص، أو لعله فكر في الموضوع داخل مرجعية معينة فرضت وحيها عليه، فوقع في ما حذر منه، غير أن مفكرنا مالك بن نبي استطاع أن يضعها في السياق الواقعي وقد عبر عنها بأنها **نظرية في السلوك** لها من القدرة على تأطير الممارسة الاجتماعية للأفراد ما يسمح لها أن تكون معيارا دقيقا وصريحا يسمح لنا أن نضع المجتمع الذي نحن بصدد دراسته في المكان الذي يناسبه ضمن المجال الحضاري الذي نظر له مالك بن نبي، أن مساءلة الثقافة والمجتمع في واقعنا، قد تنبئ عن أوضاع أقل ما يقال عنها أنها تعبر عن أنسأن النصف كما وصفه مفكرنا، وإذن نحن أمام مجموعة معضلات متعلقة بالمقدمات والسياقات التي تسير فيها هذه المقدمات وصولا إلى النتائج التي تمثل التمظهر العام للحياة الثقافية والاجتماعية، ولا يمكن بحال من الأحوال فصل هذه المقتضيات عن جملة التمثلات الاجتماعية الأخرى التي تعتبر من بين أهمها وأكثرها حساسية وتأثيرا، ليس في الراهن فحسب وإنما في توجهات المستقبل "فتكوين الحضارة بوصفها ظاهرة اجتماعية أنما يكون في الظروف والشروط نفسها التي ولدت فيها الحضارة الأولى"[3] وهنا يمكن أن تكون لدينا قدرة المقايسة والتي على أساسها نستطيع معرفة المسافة التي تخلفنا بها عن ركب الحضارة، مع قدرة كذلك على تحليل العناصر الأولية ذات البعد التكويني وكيف تكون قاصرة قصورا يمنعها من أن تعطي تلك الدفعة الأولى ومن بعدها قدرة الاستمرار لتتدرج في مرحلتي الروح والعقل واللتان تعبران عن أوج التقدم الحضاري من منظور مالك بن نبي.

[1] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ط 5، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 25.

[2] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط 2، مركز دراسات الوحد العربية، بيروت لبنان، 1995، ص 23.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة، سبق ذكره، ص28.

3- عناصر مفهوم الثقافة:

تعد فكرة التوجيه أحد الأفكار الخلاقة في فكر مالك بن نبي فالتوجيه هو العمل على تجنب أي اسراف في الجهد الذي يمثل خلاصة الطاقة الإنسانية طاقة العقول وطاقة السواعد، ثم الوقت الذي يمثل القيمة الأساسية التي يسير في مجراها أي محاولة للنهضة والتغيير، ثم بعد ذلك يؤكد على فكرة الدفعة الدينية فيقول "و هذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود وفي هذا تكمن أساسا فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية"[1]

العناصر الجوهرية الضرورية للثقافة هنا مرتبطة بالتحديد الإيجابي ملازمة له، وقد أثبتها مالك بن نبي كعناصر أولية تأسيسية لها قدرة التأثير العميق في واقع الحياة الاجتماعية، وقد حددها وفق العناصر التالية:

- الدستور الخلقي،
- الذوق الجمالي،
- المنطق العملي،
- الصناعة بتعبير ابن خلدون.

1-3 التوجيه الخلقي:

يشير مفكرنا إلى أن التركيز هنا على الجانب الخلقي ليس من قبيل فلسفه الأخلاق، ولكن على القوى الاجتماعية التي تتولد عنها، والتي كأنت سببا أو أحد أسباب تسجيل عديد الأمم أسمائها في قافلة الحضارة، وإذن الجانب السلوكي الذي أشرنا اليه ليس مقتصرا على الاملاءات الفردية أو الشخصية بمصطلح علم النفس، ولكن هو متعلق بشبكة العلاقات الاجتماعية التي كلما قويت، وكأنت تسير في اتجاه فلسفة الواجب لا فلسفة الحق، فأن لها من القدرة التأثيرية ما يسمح لها أن تكون مجتمعا جديرا بالنهضة والحضارة، ولابد من التنويه إلى الفرق الكبير والبون الشاسع ما بين الحضارة في عمقها والحضارة في مظاهرها وتجلياتها، وقد ضرب مفكرنا عديد الأمثلة عن الاختلاف الكبير والعميق ما بين العناصر الأولية للحضارة، والتي تمثل فيها الفكرة الدينية مركبا أساسيا، وتمظهرات هذه العناصر فيما بعد لما تتركب فتعطي ذلك المظهر الاخاذ فلابد من التحذير من رد الفعل الذي مؤداه اعتقاد أن تاريخ الوجه الحضاري ابتدأ في اللحظة التي التفتنا اليه فيها، "فأعرناه اهتمامنا في صورته الطارئة لا في جوهره وهذا

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، سبق ذكره، ص84.

شأن شبابنا في نظرتهم إلى الأشياء"[1]، وإذن فالمدنية الغربية كان لها ما قبلها ولها مقدماتها التي أوصلتها إلى النتائج التي خلقت حالة الانبهار في عالمنا، ولا تكون الاستفادة منها إلا من خلال تمحيص مقدماتها، واستخلاص ما يصلح ويتوافق مع مرجعيتنا، أما أن نتسول المظهر الحضاري فذلك من أيسر ما يطلب وأسهل ما يرتجى، ولم تكن السطحية يوما سبيلا إلى وضع الأساس العميق لأي فكرة، ناهيك عن أن تؤسس منظومة فكرية متكاملة، ذات قدرة على التغيير والتأثير.

2-3 الذوق الجمالي:

عندما يشير مفكرنا إلى الذوق الجمالي، فهو لا يقصد ذلك البعد الاستيطيقي بقدر ما يقصد انطباع صورة الجمال في واقع الحياة الاجتماعية، فالصورة المشوهة من شأنها أن تنعكس على الأنفس وتؤثر عليها سلبا فلا مناص من العمل على إعادة صياغة وتحسين كل صورة مشوهة، قد تخدش الذوق العام، "الانسان جوهريا كائن ثقافي"[2] ولعل المستعمر في تلك الفترة، قد تفطن لهذا الأمر فكان ديدنه ترسيخ وتطبيع هذه الصور، كيف لا وهو قد برر لنفسه دخول الجزائر بحجة أن أهلها أدنى ذكاء من مستوى بقية البشر، وقد بذل في ذلك كل ما يقدر عليه، ولعل تجسيد ذلك كأن في مستشفى Joinville محاولة لإثبات هذا الادعاء، وعبثا ما كانوا يفعلون، وإذن فالصراع هنا صراع شمولي يركز على كل صغيرة وكبيرة، فلا يهمل أي تفصيل ولا يدع مجالا للصدفة، الذوق الجمالي أو التوجيه الجمالي متطلب مستمر مع الوقت، لأنه يرتفع بالذائقة العامة للأفراد، وتشويه المظهر العام من شأنه أن ينعكس على الأنفس والتشويه منطلقه أنطولوجي بحت متعلق بالصورة الملموسة المحسوسة، والتي تمثل في فكر مالك بن نبي عالم الأشياء، والتي تتأثر بها تلقائيا منظومتي الأشخاص والأفكار، وما أشبه الأمس باليوم، فلا تزال الصور المرتبطة بالمحيط العام تعاني تشويها ممنهجا يحول ما بين الثقافة السلوكية كمنتج حضاري، والأفراد كأحد أهم مقومات الحضارة والنهضة، ولنتأمل مع مفكرنا مقولته التالية "أصبحنا اليوم نفقد ذوق الجمال ولو أنه كان موجودا في ثقافتنا إذا لسخرناه لحل مشكلات جزئية تكون في مجموعها جانبا من حياة الإنسان" وقد يتجاوز الأمر في أحيان كثيرة المظهر الجمالي إلى المظهر الذي يحمل حمولة أيديولوجية معينة، ويؤسس لحالة من الاغتراب الاجتماعي، مثل ما حدث مع مصطفى كمال لما فرض لباس القبعة الغربية تعويضا للطربوش، او العمامات التي تمثل شكلا من اشكال الموروث الأصيل،

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، سبق ذكره، ص95.

[2] دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ت: منير السعيداني، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 9.

فاللباس هنا يعلمنا الحقائق أو هو يطمس علينا الحقائق...مثلما ينم عن الثقافة والحالة المادية والاجتماعية[1].

3-3 المنطق العملي:

الأمر هنا ليس متعلقا بالمنطق كما أسسه أرسطو، ولكن متعلق بمنطق العمل فمالك بن نبي يرى أن مشكلتنا لم تكن يوما مرتبطة بالأفكار، فالثراء الفكري الذي أنتجته الحضارة الإسلامية يجعلها أبعد ما تكون عن حالة الفقر الفكري، وإذن المشكل هنا متعلق بمبدأ العمل إن أي فكرة إنما تعيش لما نحيلها إلى ممارسة واقعية، وتغرب لما تبقى حبيسة الفكرة، فيرى أن معضلتنا تبدأ لما يطلب منا الانتقال من المنطق الفكري إلى منطق العمل أي أن الطاقة الفكرية التي لا تفضي إلى ممارسة، هي طاقه مهدورة، وجهد غير مستفاد منه وهي سمة إنسان ما بعد الحضارة، الذي وصل إلى حالة من التفسخ في علاقاته الاجتماعية، الأمر الذي أحاله إلى فرد عاجز عن الحركة، وعاجز عن الانخراط مجددا وتسجيل نفسه في الدورة الحضارية، "إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، ولكن منطق العمل والحركة، فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا"[2] حالة العقم الاجتماعي كما يسميها مفكرنا، هي حالة ناتجة عن أفراد عاجزين عن الانخراط في أي عملية جهد يفضي إلى حالة من التغيير، وليس خفيا علينا ذلك الفرق الشاسع بيننا وبين الفرد الغربي في الجدوى الناتجة عن عمله، واللاجدوى التي نتخبط فيها، ولعلنا في مرحلة تطبيق النموذج قد نشير إلى بعض العناصر التي تفسر مشكلة عدم الالتزام لما يتعلق الأمر بمنطق العمل تحديدا.

4-3 الصناعة:

يستلهم مفكرنا مفهومه من ابن خلدون فهو يتكلم عن الصناعة كفعل إنتاجي يعود بالنفع على المجتمع، وإذن مجموع الأفراد اذا كانوا على قدر من المهارة الحرفية، فإن هذا يدل على مظهر من مظاهر انخراطهم في الفعل الحضاري، ان السلوك الغريزي في الفرد والسلوك الذي هو حصيلة خبرته، وسلوك تعلمه من أفراد آخرين[3]، هي المحاور الأساسية لتطبيع سلوك الفرد، ولعل آخرها يعتبر الأكثر تأثيرا على الفرد، وليست العلاقات التي تنشأ في مجال الصناعة الا تجسيدا لهذه الفكرة، استلهم مالك بن نبي فكرة الصناعة من المنظومة الغربية في باكورات نشوءها، فهي قد اولت أهمية قصوى لفكرة العمل، ونشير هنا

[1] عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية- سقوط النخبة وبروز الشعبي، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 99.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، سبق ذكره، ص103.

[3] عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 25،

إلى كتاب ماكس فيبر التأسيسي **الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية** حيث ركز على فكرة الخلاص والتي لا تنبغي الا للذي له القدرة على العمل والإنتاج، هذا العمل الذي كان تمثله اجتماعيا من خلال انخراط الأفراد في المصانع، هذه الأخيرة شرطية الانخراط فيها شرطية مرتبطة بالمهارة الحرفية التي تمكن الفرد من أن يكون ذو تأثير وفعالية في مجتمعه، بل حتى كارل ماركس الذي كان مناقضا بفكره الراديكالي اتجاه المحافظين، ركز على فكرة العمل لكن في اطار الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج، مع التحذير من الاغتراب الذي يكون نتيجة لسيطرة الطبقة الرأسمالية، وايضا الاختلاف هنا اختلاف متعلق بالمقدمات التي تفضي إلى تجسيد احتراف الصنعة من طرف الافراد، وليس الصنعة في حد ذاتها فهي ليست سمه للمجتمعات المتقدمة وحسب ولكنها سمة لكل مجتمع متحضر.

وهنا نشير إلى البون الشاسع بين العلم، وتمثله واقعا من خلال القدرة على تطبيق المكتسب الذي تقدمه الجامعات مثلا، والتي هي عموما تمنح الشهادة في انتظار المهارة التي لا مجال لاكتسابها الا من خلال الممارسة الحياتية، وفي هذا إشارة إلى الخلل الفظيع في شبكة العلاقات الاجتماعية، التي تحول دون ذلك التفاعل التلقائي بين جملة الأنساق الاجتماعية، فالتركيب هنا عصي على الافراد "ولسوف تخيب امالنا التي عقدناها إلى ما عولنا في قضيتنا على العلم الذي نتعلمه في المدارس الرسمية وغير الرسمية"[1]

4- النموذج التحليلي:

من خلال ما سبق نصل إلى مرحله بناء النموذج التحليلي، والذي يستند في فكرته على التحديد السلبي والتحديد الإيجابي، لذلك فالنموذج سيحاول أن يلقي الضوء على جميع العناصر التي من شأنها أن تقدم لنا الصورة المفصلة عن وضعنا الحالي، سواء تعلق الأمر بالثقافة تحديدا أو علاقة هذه الثقافة بالتنمية الاجتماعية، بحكم أن التنمية احدى مخرجات الحضارة الكثيرة والمتعددة، اما عن تحديد السلبي ففيه سنتكلم عن أهم المعوقات وأهم السلبيات التي تعاني منها المنظومة الثقافية سواء تعلق الامر بالثقافة كنسق أساسي في المجتمع او تعلق الأمر بالثقافة كممارسة وتمثل فردي ومجتمعي، أو حتى الوجه المتعلق بثقافة المثقفين، بعد ذلك نمر إلى التحديد الإيجابي والذي سنراعي فيه العناصر الأربعة التي قمنا بتحليلها آنفا، وعلى هذا الاساس يكون النموذج التحليلي مكتملا من اجل مقايسته على واقع الحال، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النموذج تم بناءه قبل ما يقارب الثمانين عاما من طرف المفكر مالك بن نبي، وقد قام من خلاله بتحليل مشكلة الثقافة كعنصر أساسي أبان فيه عن الشرطيات التي لابد لأي

[1] مالك بن نبي شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 104.

مجتمع أن يتبناها من أجل أن يحقق مسيرته النهضوية، وأيضا هذا النموذج هو نموذج أعيد تجريده من جملة المفاهيم التي وضعها مفكرنا، هذه المفاهيم في علاقاتها فيما بينها تنبني على أساسها هذه المحاولة التحليلية، في الحقيقة إن محاولة قياس النظري او القياس التجريدي على الواقع محاولة منهجية صعبة جدا بحكم أن السياقات التي أنتجت فيها المفاهيم هي سياقات على الأقل مختلفة من الناحية الزمنية، ناهيك عن الصورة الحضارية او الصورة المجتمعية السائدة في وقتنا الحالي، والتي تختلف كل الاختلاف بحكم أن هذا النموذج تم بنائه في المرحلة الكولونيالية، وبالتالي هناك إمكانية أن يكون فيه نوع من النقص أو نوع من الاختلال المنهجي الأنطولوجي، سنحاول أن نعمل على تبيئته زمانيا، كيما نستطيع أن نضع او ننزل هذا النموذج الذي يحاكي واقع الجزائر المستقلة في شتى اشكالها وجميع تجلياتها الثقافية والحضارية التي عاشتها على الأقل في الستة عقود الماضية منذ الاستقلال، كذلك النموذج الذي وضعه مالك بن نبي كان نموذجا ينظر لحالة مجتمع يعاني في دركات التخلف والتبعية، فهو ليس مجتمعا خارجا من الحضارة وحسب، وإنما هو مجتمع يقبع تحت وطأة استعمار من أبشع أنواع استعمار العصر الحديث. أما عن الزمن الحالي فنحن في مرحلة الدولة المستقلة بمؤسساتها وأنساقها الاجتماعية التي تكونت عبر سنوات من الاستقلال عايشت معها كل تجليات الأيديولوجيات المستوردة، وبالتالي يتولد عن ذلك نوع من الصعوبة على المستوى الإبستمولوجي في محاولة النقد بحكم أن الأنساق التي ينبني عليها المجتمع في وقتنا الحالي هي مختلفة تمام الاختلاف عن واقع الحال لما كانت القابلية للاستعمار تفعل فعلها في نفس الفرد الجزائري المستلب، وعلى كل هذه ملاحظات جديرة بأن نشير اليها، وبالتالي عمليه الربط ستكون بين النموذج المعرفي الذي وضعناه وواقع الحال الذي نحن بصدد دراسته، إضافة إلى بعض الاستنباطات التي نستشفها من بعض كتابات المثقفين الذين يعبرون عن الثقافة والحركية الثقافية في وقتنا الحالي.

5- مساءلة النموذج للو اقع:

يعاني مفهوم الثقافة من عمليه اختزاليه فجة، فنحن لا نستطيع أن نضعه في سياقاته الحقيقية التي هو جدير بها، والتي من خلالها يستطيع أن يكون له ذلك التأثير على الفرد وعلى المجتمع، الفكرة الثقافية هي فكرة تعاني من حالة اغتراب في مجتمع يحاول أن يجد صورته الحقيقية والحضارية الضاربة جذورها في التاريخ، ويحاول عبثا أن يرتبط بها من جديد وإلا فأن التمثل الثقافي في وقتنا الحالي يختزل فقط في الفكلور والفنون الشعبية، والفنون التقليدية وأصبحت هذه الامور هي الأفكار المرادفة لفكرة الثقافة، هذه الأخيرة التي اصبحت حكرا على بعض الاوساط التي يطلق عليها طبقة الفنانين والمثقفين،

في عملية فصل ممنهج للفكرة عن الحياة الاجتماعية، وكأن المثقف اصبح منفصلا بشخصه وبفكرته عن الافكار العامة متعاليا في برجه العاجي، وهذا بحق ضد الثقافة اذا ما اردنا أن نعود إلى تصورها التأسيسي عند مالك بن نبي، والتي لابد لها أن تكون ذات ارتباط لصيق جدا بالحياة الاجتماعية وبالأفراد، تمارس دور المرافقة الذي هو دور محوري في شتى أطوار تخلق المجتمعات الناشئة، وإذن إن عبرنا عن الثقافة على المستوى الفردي فهي تحدد مجموعة من السلوكيات التي يجب على الفرد أن يتمثلها، وأن عبرنا عنها على المستوى الاجتماعي فأننا نتكلم عن بعض الاملاءات التي تحاول أن تمارس عملية الاكراه[1] على الأفراد، وإذن فيه نوع من العملية الرقابية على الفرد داخل المجتمع، والا فإن الثقافة لا يمكن أن يستفاد منها أو بعبارة أخرى لا نستطيع أن نفهم مجتمعا يتميز بثقافة ما في إطار أن فكرة الثقافة هي نسق منفصل مفارق لواقع الحياة الاجتماعية، عندما يتكلم عنها مفكر مثل **ادوارد سعيد** يتكلم عن أن المثقف هو ذلك الشخص الذي له القدرة على أن يتبنى مجموعة من المواقف، بغض النظر عن الخلفية التي ينتمي اليها، تلك المواقف تكون ذات طابع نقدي يحاول من خلالها أن يقدم صورا تعمل على إعادة رسم الحياة الاجتماعية بما يتوافق مع الافكار التي ينتمي اليها ذلك المجتمع، ضف إلى ذلك أن المثقفين إنما هم رسل للأفكار أو الايديولوجيات أن صح لنا استخدام هذا المصطلح أو هذا المعنى، هم رسل لهذه الأفكار في اعادة تطبيعها داخل الحياه الاجتماعية، وبالتالي نحن أمام خيارين إما أن تكون ثقافة قاعدتها المعرفية أو قاعدتها الاجتماعية قاعدة واسعة وعلى اساسها يتمثل الافراد سلوكاتهم تجاه بعضهم البعض، او أن تكون مقتصرة على بعض الأشخاص وفي هذا إقصاء أولا للأشخاص الذين ربما يتبنون أو يحتكرون فكره الثقافة على أنفسهم، وفيه كذلك إقصاء لبقيه افراد المجتمع الذين لابد أن تنبني علاقاتهم الاجتماعية وفق املاءات الثقافة التي ينتمون اليها، يرى ماثيو آرنولد Matthew Arnold "أن الثقافة هي دراسة الكمال والتي من شأنها أن تقود إلى كمال متناسق بتطويرها لكل جوانب إنسانيتنا ثم إلى كمال عام بتطويرها لكل أجزاء المجتمع"[2] وإذن نستطيع أن نرى الثقافة كنسق تنتج من خلاله الافكار ونستطيع كذلك أن نرى الثقافة كصوره عامه للحياة الكلية للأفراد داخل المجتمع، يتمثلونها وتؤطر علاقاتهم الاجتماعية، وبالتالي تصبح القوة الاجتماعية لهؤلاء الافراد داخل مجتمعهم ذات تأثير عميق جدا في الممارسة الثقافية والاجتماعية ككل.

كيف نفهم الثقافة؟ في الحقيقة فكرة الثقافة فكرة مهمة جدا تكلم عنها مفكرنا في كتابه شروط النهضة، ثم أفرد لها كتابا خاصا أسماه مشكلة الثقافة، حاول من خلال الكتابين أن يحلل العناصر

[1] للاستزادة أنظر مصطلح الاكراه، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ريمون بودون، فرنسوا بوريكو.

[2] هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ت: حاتم حميد محسن، ط 1، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، 2010، ص 40.

الأساسية للثقافة كيف تتأسس في المجتمع، وكيف تكون سببا للدفعة الاولى أو سببا للاستمرار في الحضارة داخل المجتمع كيف يتأثر بها الأفراد، وكيف كذلك يتأثر بها مجموع هؤلاء الأفراد، في علاقاتهم الاجتماعية، في ممارساتهم وتفاعلاتهم اليومية، ولنا أن نتساءل ما هو الشيء الذي ينقص أو ماهي الحلقة المفقودة من اجل أن نحقق تنميه ثقافية واجتماعية؟ من منظور مالك بن نبي، وعلى هذا الأساس لابد لنا أن نعود إلى المفاهيم التأسيسية التي وضعها مفكرنا، والتي حاول من خلالها أن يضع لنا مقياسا اذا اعتمدناه نستطيع أن نقول أن هذا المجتمع وصل إلى مستوى ثقافي معين يسمح له أن يلج إلى الممارسة الحضارية الراقية في صورها المتقدمة، ام أن هذا المجتمع ما زال يعيش حاله من الاستلاب او حاله من التأخر تحول بينه وبين أن يتسق او يتوافق مع بقية المجتمعات الأخرى، مالك بن نبي دائما عندما يتكلم عن الفكرة يقول أنه لا يعوزنا منطق الفكرة، بمعنى أن هذه الحضارة التي ننتمي اليها هي حضارة الكلمة وحضارة الفكرة، التي انطلقت قبل 14 قرن وهي مستمرة إلى يوم الناس هذا، و قد استطاعت أن تنطلق في الدفعة الأولى التي هي دفعة الروح واستمرت لتتأسس في الأفراد الذين تمكنوا من خلالها أن يصلوا بالأمة إلى أرقى مستوياتها الحضارية، وكانت نهايتها في معركة صفين والتي أذنت ببداية مرحلة جديدة هي مرحلة العقل، كما أثبتها مالك بن نبي في المخطط الذي فصل فيه تاريخ تطور الحضارة الإسلامية، هاتين المرحلتين كانتا من الأهمية بمكان لما لهما من تأثير عميق أولا في الأنفس، ثم بعد ذلك من تأثير عميق يمتد إلى الأفراد الآخرين وكأن الحضارة احتاجت في بدايتها أن تتأسس في الأنفس ابتداء، فكانت تأسيسا عموديا عميقا، ثم بعد ذلك احتاجت أنها تمتد أفقيا لتتوسع رقعتها جغرافيا وتلك كانت دفعة العقل، هاتان المرحلتان هما مرحلتا التطور الحضاري الذي استطاعت من خلاله الحضارة الإسلامية أن تقدم ارقى واحسن واجمل النماذج الحضارية التي عرفتها الإنسانية، لتصل بعد ذلك إلى المرحلة الأخيرة من تطورها وهي بداية النزول او بداية السقوط التي تسمى بمرحله الغريزة، والتي نعيش وقتها إلى يومنا هذا وقد بدأت في مرحلة ما بعد الموحدين والتي تزامنت مع عبقري التاريخ ابن خلدون الذي كان شاهدا على تلك المرحلة والتي اذنت بأفول الحضارة الإسلامية.

لنفهم اكثر مجتمعنا لابد أن نعي ما هي التحديات التي يعيشها هذا المجتمع، خاصة في هذه المرحلة، التحديات تتوزع وفق مقتضيات زمنية، ومقتضيات مكانية، التحدي الأول وهو تحدي الزمان صراعنا حول استلهام الماضي أو كيف نعيش بنفس النمط الذي عاش به اجدادنا، آملين في أن نحاكي تجربة الماضي التليد، هي حالة الحنين للماضي وهذا من شأنه أن يفضي إلى عجز كبير، بحكم أننا نستطيع أن نستلهم جميع التجارب الماضية، لكن إن لم تكن لنا كذلك شخصيتنا شخصية العصر

بجميع مميزاته، والتي هي على استعداد أن تستلهم هذه الأفكار، فأن السفر في الزمن ضرب من المستحيل، غير أن استلهام الماضي بما يتوافق مع مقدرات الحاضر هو من الآليات المهمة، التي يجب أن تستثمر الاستثمار الاحسن و الأمثل، والا فأنها تصبح نوعا من أنواع المخدر، الذي يغرق الإنسان في ماضيه مع عجز شديد في أن يحقق ولو قفزات بسيطة قدما نحو الأمام، وإذن فالحنين إلى الماضي هو من الأمور التي تخدر الشعور وتمنع الأفراد وتحول بينهم وبين أن يكونوا مؤثرين في واقع حياتهم، و هذه حالة لم تعاني منها فقط الحضارة الإسلامية ولكن عانت منها كل الحضارات، التي كانت تعيش في زمانين او كانت تعيش في ماضها مستقيلة من حاضرها، وهذا لعمري علامة من علامات التخلف وعلامات الإنسان العاجز الإنسان الذي لا يستطيع أن ينخرط في أي فعل حضاري، ولا يستطيع أن يقدم شيئا فهو انسأن القلة وانسأن النصف والإنسان الذي يصطلح على تسميته ملك النبي بإنسان ما بعد الحضارة، الصراع الثاني كذلك هو صراع المكان وهو محاولة محاكاه التجارب التي هي تجارب معاصرة لنا، ولكن تنتمي إلى أمكنة أخرى، هذه الاخيرة التي تنتمي إلى الآخر كذلك لها روحها ولها تجلياتها ولها افكارها، ناهيك عن أنها تحمل افكار خلاقة في مجالات معينة.

وقد تكلم مالك بن نبي عن فكرة الدورة الزمنية، وقال أنا احلل مشاكل تنتمي إلى العام 1367 هجرية، ولا أحلل مشاكل تنتمي إلى العام 1948، ونفس الأمر نحن في هذا الزمن نحاول أن نعالج قضيه تنتمي إلى العام 1445 وليس قضايا تنتمي إلى العام 2024 لأن الدورة الزمنية بإملاءاتها وبتأثيراتها، دائما ما تجعل الفرد منفصلا عن واقعه الاجتماعي و قد يعيش في ضفة أخرى لا ينتمي اليها، ، وعليه هذا الانفصال لن يخدم ولن يقدم اي قيمه مضافة مهما كانت تأثيرات هذه القيمة، لكن لابد أن نشير إلى أنه في عملية التركيب التي قد تكون ذات تأثير وجدوى، لابد أن تقتبس أولا من الخارطة المعرفية الإسلامية ما تقدر على تبيئته بما يتوافق مع مقتضيات عصرها، مع المحافظة على الاشياء الأصيلة، مع اقتباس للتجارب الغربية ومحاولة الاستفادة من احسنها، لتتركب الخبرة التي تنتمي إلى الزمان الماضي مع الخبرة التي تنتمي إلى المكان، خبره زمان الماضي الذي هو ماضينا، وخبرة مكان الآخر الذي هو شريك لنا في هذه المعمورة، وبالتالي هذه الافكار لما تتركب فيما بينها، وتجد الروح التي لها القدرة على أن تنخرط او تنطلق من جديد في تجسيدها واقعا، عند ذلك فقط نكون قد بدأنا في الخطوات الأولى، والتي ستتبعها خطوات جبارة ومتسارعة تجعل المستحيل في مخيال الأمة من أبسط ما يتم تحقيقه.

6- بين المقدمات والمآلات:

يشكل إنسان الفطرة شرطية مهمة جدا في فكر مالك بن نبي، ولعله متعلق بالمقدمات التي يجب أن تتوفر في هذا الإنسان، وبغيرها يصعب علينا أن نجسد كل الافكار التي سبق ذكرها تفصيلا، والمتعلقة اولا بالتحديد السلبي، وثانيا بالتحديد الإيجابي، و كل الأمور المرتبطة بالتحديد الإيجابي من توجيه أخلاقي، وتوجيه جمالي، ومنطق عملي، وصناعة، وضع مالك بن نبي هذا النموذج على منوال البرهان بالتراجع، وكأنه انطلق من النتيجة، ليواصل تحليل المقدمات، وارجاعها إلى سياقاتها الواقعية في عملية استدلالية سمحت له أن يتعمق السببيات والشرطيات الحضارية، هذه الأخيرة انما استنبطها من تاريخ حضارتنا، ليصل الى نتيجة مؤداها أن هذه الأفكار لا يمكن لها أن تتأسس في أنفس أفراد خارجين من الحضارة، لذلك ركز مالك بن نبي على فكرة إنسان الفطرة في مقابل إنسان القلة، ولعله يضرب لنا مثالا عن الإنسان الجرماني فيقول" ومع الجرمانيين ظهرت روح خلقية سامية في العالم المسيحي"[1] حيث كانوا مهيئين ومستعدين لتسجيل الفكرة المسيحية في أنفسهم، والسير بها قدما، وتحقيقها واقعا، إذن على مستوى المقدمات، العجز متعلق بالإنسان كأحد أهم مركبات الحضارة، وإلا فالزمن والتراب عنصران ينتظران أن تتحرك الأنفس، أما الفكرة الدينية لم تكن لتضعف يوما في حد ذاتها، إنما ضعفها في نفس إنسان القلة الذي يعاني حالة عجز، أفقدته بوصلة الاتجاهات فلم يعد يميز بين الخطأ والصواب، هذا فيما يتعلق بالمقدمات التي هي الصور الأولى أو السببيات التي في تفاعلها فيما بينها تفضي الى النتائج والمآلات، أما بالنسبة للمآلات فإن مالك بن نبي لما وضع نموذجه الذي تكلمنا عنه وحاولنا أن نسقطه على واقعنا وضع بعده كذلك مجموعة من الشرطيات، التي تحول بينه وبين أن يتجسد واقعا وهو متعلق بإنسان ما بعد الحضارة، وقد لخصه في فكرة مهمة أسماها مشكلة التكيف، وقد ذكر منها مجموعه عناصر تتأثر بها الحضارة ولا تستطيع أن تستكمل خطواتها وتكون حائلا بينها وبين أن تتحقق واقعا.

7- التكيف بين بين الأمس واليوم:

على الرغم من المنطلقات المعرفية ذات الطابع الاجتماعي والثقافي، ناهيك عن الملاحظات المنهجية المهمة التي عالجها مفكرنا حول الممارسة السياسية آنذاك، مع تركيزه على جوانب تنظيمه بحتة، مع اشارته إلى المبدأ السببي القرآني كمكون شديد الأهمية، إلا أنه لخص مشكلتنا الحضارية كلها في الحالة النفسية لإنسان القلة، والتي تعبر عن رد فعل سطحي اختزالي، ذري في تفكيره غير قادر عن رؤية الصورة الكلية للواقع تائه في صفحات الماضي، مستلب في حاضره، مغترب عن مستقبله، انسان القلة

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 61.

الذي أصبح عاجزا عن أن يحمل تحدي التغيير، وأصبحت نفسه تنزع لقبول الأمور كما هي، أو بعبارة أخرى محاولة التكيف معها بحسب المقدمات التي يتأسس عليها كل فرد فتفعل الأيديولوجيات فعلها في نفسه، فتجده يبدع في وضع التبريرات التي تعفي عقله من مهمة التفكير، وتعفي جوارحه من رسالة العمل.

مشكلة التكيف معضلة تحول بين الإنسان وبين أهدافه، فهي رد فعل عن واقع الحال المزري وحالة التأخر المخزية، وما أشبه الأمس باليوم فلا نزال نتخبط في مشاكل السطحية والمعارك الوهمية، وكل حالة من تعدد ردود الفعل بين الأفراد إنما هي دليل على تصادمهم وتضارب جهودهم، مهما كانت قيمة هذه الجهود، فترى المتأثرين بالثقافة الغربية وبهرجها، وترى الذين يرون أن حل أزماتنا إنما يكون بالرجوع للغة وتعلم النحو والصرف، ومنهم من يرى تحرر المرأة عاملا حاسما في طريق الرقي والتطور، ومنهم من يرى أن الانتصار في المعركة الاقتصادية مؤذن بعوده الحضارة، ومنهم من رضي بواقع الحال فلا تكاد تسمع له همسا، كلها جهود متفرقة تتصادم فيما بينها، ولعل فكرة الرجل الذي بيده مفاتيح حل لكل مشكلات الوطن دفعة واحدة من الأفكار السائدة في مخيال مجتمعنا البسيط، وهكذا تتوزع الجهود وتتبدد المواهب دون جدوى، ضف إلى ذلك حالة اللاثقة التي أصبحت تسود المجتمع في كل مستوياته، والتي تطورت إلى حالة من التغول أصبح الفرد لا يثق فيها حتى بنفسه، مع عقلية فوقية تتفنن في فرض تصوراتها وأفكارها، ضف إلى ذلك حالة الخواء الاجتماعي، والتي اصبح معها مجتمعنا يقترب إلى حالة العقم فأصبح عاجزا عن أن ينجز أبسط متطلباته الحياتية. فلا نستطيع أن نصل إلى فكرة موحدة متجانسة، وإنما الحضارة هي تنسيق للجهود ومحاولة لتبادل وتكامل الخبرات، وعمل على تركيب كل هذه الأفكار، من أجل الوصول إلى الصورة الجمالية التي هي متعلقة بالحضارة، وإلا فإن هذا التصادم و التفرق و التشرذم، من شأنه أن يبدد الجهد الخلاق والعمل الجاد، فيسود اللامعنى وتسود معه فلسفة الحق التي تسعى سعي المجنون الذي لا يفقه ولا يعي من حياته إلا تحصيل حقوقه، متناسيا أو متجاهلا أنه فرد في مجتمع يفترض فيه أن يقدس العمل، العمل الذي هو عين الواجب، وليست الحقوق إلا واجبات موزعة على الأفراد، وبهذا تسود حالة من الانتهازية تنفي كل محاولة للإصلاح والتصويب.

إن الفشل في تجسيد مجتمع المؤسسات أفضى بطريقة تلقائية إلى تأسيس مجتمع العصبيات الذي هو أقرب ما يكون إلى حالة التدهور الأولى التي عاشها مجتمعنا في مرحلة ما بعد الموحدين، فلا يتغنى الفرد إلا بالعصبية التي ينتمي اليها، في صورة مهينة لمجتمع كان أفضل ما يميزه روحه التكافلية والتعاونية، إن غياب المشروع الجاد الذي تنتظم فيه الجهود وتصب فيه الطاقات من شأنه أن يجعلنا

نعيش في حلقة مفرغة، مضيعين كل فكرة خلاقة وكل عمل وجهد ذي بال وجدوى. فالعمل الجاد أحوج ما يكون إلى التنظيم كإطار توجيهي، هذا الاطار تؤسسه الفكرة الخلاقة التي هي نتاج العقول والملكات التي تسير بها قدما نحو التجسيد، مخرجة إياها من دركات التجريد الذي تكدست فيه الأفكار كما الأشياء، فأصبح طابع العصر طابع الفوضى، ومن العبث انتظار المجتمع للحلول السحرية أو ترقب البطل الأسطوري، إن واقعا تأسس على سببيات منطقية، نتائجه أبدا لن تكذب مقدماته، وإنما المعجزة تكون لما يستنفذ الإنسان ملكاته سعيا وجهدا وعملا، ليس بمعزل عن إخوانه وانما بتظافر جهود، وتكامل رؤى، عندها فقط تستطيع الفكرة الدينية أن تفعل ثلاثية الحضارة من جديد، في أنفس تتوق للرقي والتقدم.

خاتمة:

حاولنا من خلال المداخلة أن نحلل العناصر المرتبطة بمفهوم الثقافة، مركزين على تصورات وأفكار مالك بن نبي، الذي استطاع بخبرته المنهجية وقدرته المعرفية وحسه النقدي، أن يضع قراءة متفردة وتحليلا مركزا للثقافة كأحد أهم المحددات الاجتماعية التي تنبني عليها فكرة الحضارة، وماهي الآليات التي تسمح أولا للثقافة كونها نظرية في المعرفة، أن تكون نظرية في السلوك، وثانيا ماهي العوائق التي تحول بينها وبين تفعيلها مجتمعيا، فتصبح ضربا من العبث في تجسيد للقابلية للاستعمار في تمظهرها الجديد ، فيصدق أن نطلق عليها اسم القابلية للتبعية أو القابلية للتخلف، ثم كيف يمكن لمشكلة التكيف أن تعطل كل محرك للنهضة، وكيف تلغي كل محاولة خلاقة للتحضر، فيكون انسان القلة وانسان النصف، الذي لا يعمل الا نصف عمل، ولا يمش الا نصف طريق، ولا يفكر الا في نصف فكرة، سمة للعصر الحالي، وليس من إمكانية لاستعادة التوازن، إلا من خلال توحيد الجهود والتخلص من هيمنه تضاد الرسالة وتضاد المنهج، من خلال بعث روح التوافق من خلال التقريب وجهات النظر، والتركيز على المشترك الذي من شأنه ان يجمع لا أن يفرق، فتنتفي معه حاله اللاجدوى السائدة، تمهيدا لاستعادة الحاسة الاجتماعية، التي تخلق ذلك التناغم والتنظيم في الجهود والأفكار، والتي تحول دون تبديد الطاقة النفسية والاجتماعية لأبناء المجتمع الواحد،

مراجع:

1. دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ت: منير السعيداني، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
2. عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.
3. عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية- سقوط النخبة وبروز الشعبي، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.
4. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ط 5، دار الفكر، دمشق، 2000.
5. مالك بن نبي، شروط النهضة، ط 16، دار الفكر، دمشق، 2017.
6. محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط 2، مركز دراسات الوحد العربية، بيروت لبنان، 1995.
7. هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ت: حاتم حميد محسن، ط 1، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، 2010.